المبحث الاول
الجامع النوري

Scanned by CamScanner

الجامع النوري

بدأ نور الدين محمود بن عماد الدين زكي عمارة الجامع سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م وانتهى من بنائه سنة ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م وزينه بالزخارف والكتابات وبنى به مدرسة للعلم واوقف عليه الاوقاف الكثيرة.

وتخطيط هذا الجامع يقتصر على بيت للصلاة وصحن تنعدم فيه الاروقة الجانبية (المجنبتان، والمؤخرة) وفي وسطه حوض كبير من الرخام للوضوء تغطيه قبة محمولة على اعمدة رخامية (شكل ١٥٩).

وبيت الصلاة الاصلي للمسجد كبير مستطيل الشكل تغطيه قبة مزدوجة مخروطة مضلعة الشكل من الخارج ونصف كروية من الداخل قائمة على قاعدة مربعة استخدمت المقرنصات في تحويلها الى مثمن اقيم فوقه رقبة تحمل قبة هرمية ذات ستة عشر وجهاً مبنية بالاجر ارتفاعها عن الارض ١٥م وتحتها قبة نصف كروية يفصل بينهما فراغ (شكل ١١٥ و١٦٠) والقبة الاخيرة غنية بالزخارف الجصية الجميلة ولا تقوى على مقاومة التقلبات الجوية لذا غطيت بقبة ثانية تحفظها من التلف وهذا الشكل من القباب شبيه بقباب اخرى بنيت في الموصل في القرن السابع الهجري (١٣م) مثل قبة ضريح الامام يحيى بن القاسم وقبة ضريح الامام عون الدين بن الحسن اللتين بنيتا بعدها.

ومحراب هذا الجامع فريد بجماله يتوسط جدار القبلة وتعلوه نقوش جبسية دقيقة تتخللها كتابات كوفية جميلة نقلت الى المتحف العراقي (شكل ١٦١ و١٦٢). ومحرابه الحالي نفيس مصنوع من الرخام الازرق ومزين بكتابات ونقوش دقيقة تتضمن ايات قرآنية كريمة ويعود تاريخ عمل المحراب الى سنة ٥٤٣ هـ/ ١١٤٨م واسم صانعه منفذ بخط كوفي مورق جميل. ويعتقد ان هذا المحراب منقول اليه من الجامع الاموي في الموصل (شكل ٢٦٣ و١٦٤).

وكان سقف المصلى محمول على اعمدة ضخمة من الرخام تتكون من قطع منشورية مرتبة فوق بعضها ومزخرفة بعناصر نباتية وهندسية اضافة الى الكتابات القرآنية (شكل ١٦٥). ورتبت هذه الاعمدة مع العقود المدببة التي تحملها باتجاه موازٍ لجدار القبلة مكونة اربعة اساكيب و١٢ بلاطة. رتبت بلاطة المحراب بشكل امكن اقامة القبة فوق بلاطتين كما فصل بين الاسكوبين الثالث والرابع بجدار ذي ابواب تؤدي الى بيت الصلاة وترك الاسكوب الرابع مفتوح على الصحن (شكل ١٦٦). وهو تصميم جديد في عمارة المساجد. وربما كان للمناخ اثره في هذا التخطيط او ان الباني اراد ان يهيئ مكاناً للصلاة

Scanned by CamScanner

خارج اوقاتها مع الحفاظ على مقتنيات بيت الصلاة من العبث بها خارج تلك الاوقات.

وقد هدم بيت الصلاة مع معظم اجزاء الجامع القديم سنة ١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٤م وبنى محله مصلى جديد استخدمت فيه بعض عناصره القديمة كالاعمدة والمحازيب إلا ان اهم ما بقي من اقسام المسجد القديم هو منارته المشهورة (شكل ١٦٧).

وتعتبر مئذنة الجامع النوري من اطول مآذن العراق قاطبة اذ يزيد ارتفاعها على ٥٥م وهي تتكون من قاعدة منشورية طول ضلعها حوالي ٦م وارتفاعها حوالي ١٦م. والجزء السفلي منها مبني بالحجارة الى ارتفاع ٨,٨٠م اما الباقي فمبني بالاجر وارتفاعه ٧م (شكل ١٦٨). ويقوم على القاعدة بدن اسطواني الشكل مبني بالاجر وكله مغطى بزخارف اجرية غاية في الدقة والابداع تتمثل بالعناصر النباتية والهندسية المنفذة بطريقة التفنن باوضاع الاجر او بطريقة قصه او حفره وهذه الزخارف مقسمة الى سبع اسطوانات بواسطة اشرطة زخرفية دقيقة تدور دورة كاملة حول البدن. (اشكال ١٦٩ و١٧٠).

وفي قاعدة المئذنة بابان يؤديان الى شرفة المؤذن احدهما من الارض في القسم المبني بالحجارة والثاني مفتوح في القسم العلوي المبني بالاجر. ولا يلتقي الداخل فيهما إلا في شرفة المؤذن (شكل ١٧١). وهذا اسلوب معماري يدل على مهارة فنية فائقة ودقة في التنفيذ وحسن الاداء.

والملاحظ انحناء بدن المئذنة الى جهة الشرق، وهي ظاهرة يرجح انها لم تكن في زمن البناء وان الاختلاف في درجات الحرارة واتجاه الريح كان له اثره في هذا الانحناء.

وهذه المئذنة خالية من الكتابات التذكارية ومن المؤكد انها بنيت مع الجامع في القرن السادس الهجري (١٢م). وقد شيدت على نمطها مآذن اخرى في سنجار (شكل ١٧٢) واربيل وداقوق إلا انها لا تضاهيها في الارتفاع.

Scanned by CamScanner

المبحث الثاني
ضريح الامام يحيى بن القاسم

Scanned by CamScanner

ضريح الامام يحيى بن القاسم

شيد هذا الضريح بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م الى جانب مدرسة كان قد انشأها على انقاض مسجد قديم قبل سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٨م ولم يبق من بناء المدرسة والضريح سوى غرفة تعلوها قبة مزدوجة يفصل بينهما فراغ والقبة الداخلية منها مخروطة الشكل تتكون من عدة طبقات من المقرنصات الجميلة المبنية بالاجر بطريقة جميلة تشبه عظام السمك (شكل ١٥٤). اما القبة الخارجية فارتفاعها فوق الجدران حوالي ٥م وهي مضلعة ذات اثني عشر ضلعاً كانت مغطاة بالاجر المزجج الذي ذهب معظمه وغطي بطبقة سميكة من الجص (شكل ١٧٣).

ولعل الغرض من انشاء القباب المزدوجة هو حماية القبة الداخلية الجميلة من التأثيرات الجوية عليها ولاعطاء المشهد مظهراً عمارياً متميزاً من الخارج ومن الداخل.

ويؤزر جدران الغرفة من الداخل الواح من الرخام الازرق فوقها افريز من نفس الرخام مزين بزخارف نباتية رائعة يعلوه افريز اخر مضاف في القرن الثامن الهجري (١٤م) (شكل١٧٤) فيه كتابة بخط الثلث محفورة ومطعمة بالجبس. وتزين هذه الجدران ايضاً وحدات زخرفية ذات اشكال جميلة متناظرة ومتقابلة عليها عناصر نباتية وهندسية منفذة بالاجر ويحمل بعضها كتابات جميلة كما تعلو الجدران كتابات منفذة بالاجر تبدأ بعدها مقرنصات القبة الداخلية.

وواجهة غرفة الضريح تقابل الجهة الشمالية وفيها المدخل الذي تسبقه كنة مضاقة مؤخراً محمولة على اعمدة حجرية ويعلوه حنية ذات زخارف اجرية جميلة (شكل ١٧٥). وعلى كل من جانبيه حنية اخرى في القسم العلوي منها شريط كتابي بخط كوفي رائع مظفور ومورق جميعها ذات زخارف نباتية وهندسية وحصيرية غاية في الدقة والجمال وكلها منفذة بالاجر وبمستويات متفاوتة كما استخدم الاجر المزجج لابراز زخارف هذه الحنايا (شكل ١٥١). ومن المؤكد ان الواجهات الخارجية لهذه الغرفة كانت مزينة بالزخارف الدقيقة التي تأثرت بفعل العوامل الطبيعية ولا تزال بقايا هذه الزخارف ظاهرة في بعض الاماكن وربما كان يدور حول الواجهات من الاعلى اطار من الاجر المزجج.

وواجهة غرفة الضريح تقابل الجهة الشمالية وفيها المدخل الذي تسبقه كنة محمولة على اعمدة حجرية ويعلوه حنية ذات زخارف اجرية جميلة (شكل ١٧٥). وعلى كل من جانبيه حنية اخرى في القسم العلوي منها شريط كتابي بخط كوفي رائع مظفور ومورق جميعها ذات زخارف نباتية وهندسية وحصيرية غاية في الدقة والجمال وكلها منفذة بالاجر

Scanned by CamScanner

قصر بدر الدين لؤلؤ (قره سراي)

يقع هذا القصر شمالي الموصل القديمة على مقربة من ضريح الامام يحيى بن القاسم. شيده الاتابكة على انقاض دار المملكة التي انشأها السلاجقة. وقام بتعميره الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م واتخذ به الحدائق والنافورات والتماثيل. وكان يسمى الجوسق البدري. وتشير الكتابات المثبتة على الجدران المتبقية من هذا القصر ان بدر الدين لؤلؤ اعاد عمارته وزخرفته باشراف مولاه سنبك البدري إلا اننا لا نعرف التخطيط الكامل لهذا القصر لتهدمه ولعدم ورود ما يوضح ذلك في المراجع التي اشارت اليه. إلا ان القصر كان يشتمل على اكثر من دار واحدة موزعة في هذه المنطقة اذ غالباً ما كان يشار اليه بصيغة الجمع (دور المملكة).

واهم ما بقي من هذه الدار ايوانان متجاوران لكل منهما باب تعلوه نافذة وتطل على نهر دجلة. ويتضح من الاثار الباقية القائمة فوق الايوانين ان هذا القصر كان يشتمل على اكثر من طابق واحد والايوانان المتبقيان جدرانها سميكة مبنية بناء محكماً بالحجارة والجص ويعلو كلاً منهما قبو مدبب مطول يزيد من ارتفاع السقف (شكل ١٧٦، ١٧٧).

ويبدو ان هذا القصر كان غنياً بالزخارف باشكالها المختلفة وبالكتابات. ولعل ما وصل الينا بقاياها على جدران هذين الايوانين يؤكد ذلك وهي تضم كتابات بخط الثلث ورسوماً ادمية وحيوانية ورسوم طيور وغيرها محفورة على الجص ومرتبة باشرطة جميلة (شكل ١٧٨) كما نجد شريطاً كتابياً اخر بخط الثلث ايضاً يزين واجهة القصر المطلة على نهر دجلة محفوراً على الحجر فوق ارضية من الزخارف النباتية وتتضمن تاريخ تعمير القصر والمتولي له والقاب بدر الدين لؤلؤ (شكل ١٧٩) إلا ان اهم الزخارف التي وجدناها على جدران ايواني القصر هي الرسوم الادمية البارزة المنفذة بالجبس والتي ذكرها نيبور في رحلته بقوله: «ورأيت على جدران الغرف صوراً جصية صغيرة بارزة يتراوح عددها بين الثمانين والمئة تمثالاً». ولا زالت هذه الرسوم باقية في محلها لتقدم دليلاً مادياً يؤيد ما اشارت اليه الروايات التاريخية من ان (دور المملكة) كانت جدرانها مزخرفة بالزخارف النباتية والهندسية والكتابات المنفذة على الجبس والرخام محفورة او مطعمة وزخرفت سقوفها بالذهب.

Scanned by CamScanner